

خلفيات الصراع بين الداخل والخارج بعد مؤتمر الصومام 1956

أ / تيزي ميلود

أستاذ مساعد بقسم التاريخ - جامعة الجيلالي ليايس - سيدي بلعباس -

إن الحديث عن ثورة التحرير وإنجازاتها لا يقتصر على بطولات الشعب والمعارك التي خاضها ضد استعمار عمر أكثر من قرن من الزمن، وما صاحب ذلك من طمس للشخصية وتحريف للهوية وضرب اللغة العربية، بل يرتبط كذلك بالحديث عن مشروع المجتمع التي حملته الثورة من خلال بيان أول نوفمبر 1954 وأرضية مؤتمر الصومام 1956 وحتى مؤتمر طرابلس 1962 وما هي العوائق التي حالت دون تطبيق أي وثيقة من هذه الوثائق.

إن الإجابة عن ذلك ستظل غامضة إذا لم تدرس العلاقات التي كانت تربط بين الأطراف التي قادت الثورة التحريرية من ليلة الاندلاع إلى الإعلان عن الاستقلال 1962 بل وما بعده رغم إن الهدف الأسمى الذي رفعه الشعب الجزائري هو مشروع الحرية والاندماج من الاستعمار بغض النظر عن الخلافات والانقسامات التي ميزت المراحل الأساسية للثورة ومنها على سبيل المثال مرحلة ما بعد مؤتمر الصومام 1956.

أشارت قرارات مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 ولا سيما تكريس مبدأ «أولوية السياسي على العسكري» و«الداخل على الخارج» (1) ردود فعل معارضة ظلت تنمو وتتزايد إلى أن أصبحت واقعا مرا أثر بشكل كبير على سير الثورة في عدة مناطق وجهات من الوطن بل وانتقل صدى الاختلاف والانقسام إلى الدول المؤيدة والمدممة للثورة الجزائرية التي كانت تحتضن بعض قادتها.

إن التحول الذي طرأ على العلاقة بين قادة الثورة يعود إلى عدة عوامل أثرت في موازين القوى داخل مركز القيادة بعد سنة من انعقاد المؤتمر أي مباشرة حين أبلغ عيان رمضان أعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني في القاهرة نتائج المؤتمر مرفقة برسالة توضيحية تشرح القرارات المتخذة وتتناول النقاط التالية:

أولا: تعيين المجلس الوطني الثورة *CNR*: لقد كتب عيان رمضان منسق لجنة التنسيق والتنفيذ *CCE* عن القيادة المنبثقة عن المؤتمر والمتعلقة بأعضاء المجلس ما يلي: «اعتمدنا لتعيين مجلس الثورة على مقياسين: أولا الدور الذي لعبه بعض الإخوة. وثانيا أهمية الدور الذي يقوم به بعض الإخوة حاليا» (2).

ويفسر الكثير من الباحثين في هذه الفترة أن استعمال عيان رمضان عبارة بعض «الإخوة» في هذه الرسالة يعود بعض الأسماء التي تتيانز إلى النهن حالة بحالة مبررا اختياراته والتي كانت محل معارضة الوفد الخارجي بناء على حالتين:

لحل انتشار
ستعمارية
له الشعب

معية الجزائر

من 23 فيفري

2003

5-El MOU

6-Thenault

la decouvert

ربب العالمية

ركة الفرنسية

نة "دوربون"

8- Hartmut (

autre, Edition

9- Le Quotia

10- Naquet (

decouvert, P

11- Haroun (

livre africain,

12- Naquet (

ة

15-Thenault (

16- Ibid, p117

17- Thenault (

ممثلي وهران
عشر يوما بين
بوجود بعض
والمجلس الوه
أما
ورفاقه من الج
التسليح (9) (أ)
تأزم الأوضاع ب
الثورة في الداء
على صعوبة
يلتحق بالثورة
ومهم
الكثير من البنا
تسببه في قرا
التنفيذية لقي
كافيا لمعارض
لا يمثلونه من
التي عول على
نتيجة
بوضياف الداء
المناطق الداء
الطائرة التي
وينهب الكثير
مستقبلها ك
ورغم
الأصوات المعا
أن المؤتمر ناق
وجود قرار في
مقصودا للثو

المجلة المغاربية لا

1- حالة لحول ويودة وكيوان (3): هذه الأسماء ارتبطت بالأزمة السياسية لحركة انتصار الحريات والديمقراطية لنا يعترض الكثير من قادة الثورة المقاتلين في الميدان على عودتها للمواجهة وخاصة إلى قيادة الثورة بينما كان رد عيان رمضان أنهما مناضلان في جبهة التحرير.

2- حالة العباس بن الشيخ الحسين: الذي تحفظ عليه أعضاء الوفد الخارجي واقترحوا بدله إبراهيم مزهودي الذي ينتمي هو الآخر إلى جمعية العلماء المسلمين ويشغل محافظا سياسيا لمنطقة شمال قسنطينة (4) في حين يبرر عدم تعيينه للشيخ البشير الإبراهيمي بالتقدم في السن.

ثانيا: العلاقة بين الداخل والخارج: يفسر عيان رمضان في رسالته مبدأ أولوية الداخل على الخارج كما يلي (5):

- أولا إن منطق الأشياء الذي يقتضي أن يكون الخارج تابعا للداخل.

- ثانيا استحالة قيادة العمل الثوري من الخارج.

- ثالثا أن الداخل هو مصدر شمولية الثورة وله أهلية التحكم في القوى الرئيسة للثورة.

كما اقترح في رسالته دائما «قيادة مشتركة» بين مجلس الثورة المنشق عن المؤتمر وممثلي الخارج تلقتي وجوبا لاتخاذ قرارات تخص مستقبل البلاد وما عدا ذلك من العمل الخارجي فهو من صلاحيات وفد جبهة التحرير الوطني المعني بنقد المؤتمر في القاهرة، الذي يعود إلى لجنة التنسيق والتنفيذ في حالة خلاف مع الأعضاء الذين يشطون خارج الجزائر.

ثالثا: الحكومة المؤقتة: حرص عيان رمضان كثيرا في رسالته على معرفة رأي الوفد الخارجي حول مسألة تشكيل حكومة مؤقتة من خلال طلبه إيفاد ملاحظات الأعضاء للأرضية السياسية ومحضر القرارات الصادرة عن اجتماع 20 أوت 1956 وذلك في أقرب الأجل بدعوى أنه يريد نشر الوثيقتين بمناسبة الذكرى الثالثة لاندلاع الثورة (6).

ونشير هنا أن عيان رمضان كان يريد أن يعرف رأي كل عضو على حدى لضبط خطة مستقبلية يواجه بها المعارضين للمؤتمر أو لتحديد المسؤوليات الفردية والجماعية في الخارج بعد دخول الثورة مرحلتها الحاسمة في مسيرتها.

إن المتتبع لهذه المرحلة يتأكد فعلا من حقيقة الخلاف الذي نتج عن المؤتمر والذي يرتبط ارتباطا وثيقا بعدة عوامل أثرت في التكوين الإيديولوجي لكل طرف وما يملكه من مبادئ وقناعات وهذا ما نستنتجه من الرسالتين التي رد بهما أحمد بن بلة (7) مسئول الشؤون العسكرية في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني على رسالة عيان رمضان على الشكل التالي:

الرسالة الأولى: تتضمن مطلب أحمد بن بلة تأجيل الإعلان عن قرارات المؤتمر إلى غاية الاستماع إلى وجهة نظر الجميع وهذا بسبب تجاهل بعض القرارات التي تضمنتها بيان أول نوفمبر 1954 مثل الطابع الإسلامي لمؤسسات الجزائر المستقلة كما تضمنت الرسالة سبب غياب

كة انتصار

المواجهة

ي واقتروا

نظا سياسيا

لسن.

على الخارج

بتمر وممثلي

جي فهو من

بنة التنسيق

فد الخارجي

ية السياسية

نه يريد نشر

ضبط خطة

في الخارج بعد

والذي يرتبط

وقناعات وهذا

وقد الخارجي

ؤتمر إلى غاية

منها بيان أول

لة سبب غياب

ممثلي وهران وقسنطينة وممثلي الخارج حيث ذكر أحمد بن بلة في رسالته هاته أنه انتظر خمسة عشر يوما بينما محمد خيضر انتظر ثمانية أيام بطرابلس (8)، كما أرفق تحفظه على قرارات المؤتمر بوجود بعض الأسماء في الهيئات القيادية لجبهة التحرير الوطني (في لجنة التنسيق والتنفيذ) والمجلس الوطني) يشكل خرقا حقيقيا لمبادئ الثورة.

أما الرسالة الثانية: وتمثل هذه الرسالة وضوحا أكثر لموقفه بعد أن تأكد من قرار عزله ورفاقه من الجهاز التنفيذي لقيادة جبهة التحرير الوطني بناء على حصيلة الوفد المتواضعة في ميدان التسليح (9) وهذا الميدان هو الذي يخص أحمد بن بلة بالنيات. إن المتمعن لهاتين الرسالتين يستنتج تأزم الأوضاع بين أحمد بن بلة ممثلا للوفد الخارجي ومكلمها باسمه وبين عيان رمضان نيابة عن قيادة الثورة في الداخل والذي جعل من مشكلة الأسلحة عاملا أساسيا في تعييناته رغم تأكيد أحمد بن بلة على صعوبة المهمة وأن عيان رمضان ليس مؤهلا لإصدار مثل هذا الحكم النهائي والخطير لأنه لم يلتحق بالثورة إلا في فبراير 1955 (10).

ومهما يكن فإن عدم تفهم عيان رمضان لسالة معقدة وخطيرة كمسألة التسليح (11) حسب الكثير من الباحثين في هذه الفترة وسوء تقديره أو إنقاصه للجهود التي بذلت في هذا الشأن إلى غاية تسببه في قرار من قرارات المؤتمر التي أدت إلى عزل أربعة من قادة الفاتح نوفمبر 1954 من الهيئة التنفيذية لقيادة الثورة وهم محمد بوضياف، أحمد بن بلة، محمد خيضر وأيت أحمد (12)، يعتبر كافيا لمعارضة المؤتمر وكل القرارات التي نتجت عنه ويفقده الشرعية التاريخية التي يحملها هؤلاء لما يمثلونه من وزن ومصداقية لدى الشعب الجزائري أو لدى الخارج خاصة المول العربية والإسلامية التي عول عليها بيان نوفمبر 1954.

نتيجة لذلك ازدادت رغبة المعارضين لقرارات المؤتمر بعد الرد الأول لأحمد بن بلة إلى محمد بوضياف الذي عارض عيان رمضان على اتهامه أعضاء الوفد الخارجي بالتقصير وخاصة بعدم إمداد المناطق الداخلية خاصة الثالثة والرابعة. إن حدة المعارضة كانت ستتعد أكثر لولا أن اختطاف الطائرة التي كانت تقل أعضاء الوفد الخارجي يوم 22 أكتوبر 1956 حيث قللت من حيلتها بل وينهب الكثير من الباحثين والسياسيين إلى اعتبارها انقذت الثورة من صراع كان يمكن أن يؤثر على مستقبلها كثيرا.

ورغم ذلك حاول محمد علي محساس مجلس (13) ممثل الوفد الخارجي أن يستقطب الأصوات المعارضة لا سيما بالمناطق التي لم تشارك في مؤتمر 20 أوت 1956 لسبب أو لآخر اعتمادا على أن المؤتمر ناقص شرعية لتغيب الوفد الخارجي وأن القرارات المتخذة مخالفة لاتجاه الثورة وأن عدم وجود قرار في الوثائق الصادرة عنه ينص على البعد الإسلامي والعربي للجزائر (14) يمثل انحرافا مقصودا للثورة عن مبادئها.

لقرارات
مؤثرا على
الشعب

القرارات،
سوف يؤد
1957 نن
- است
المؤتمرون
- خر
الخارج

(محمود
الخلاف:
و28 أوت
الختامي
محمد ال

التي طام
وقراراته
- مثل
وأعضاء
كأعضاء
- ومن
المفاوضا
أن القرار
ما تراجي
جانب مه
فضل تنه

المجلة المغاربية

وبالتالي فإن هذه المواقف لها ما يبررها من الناحية التاريخية إذا اعتبرنا أن أعضاء الوفد الخارجي كانوا جلهم من المشاركين في اندلاع الثورة التحريرية وأن مواقفهم المعارضة لا يمكن فهمها إلا باستعراضها حسب شهاداتهم:

أولا : موقف محمد بوضياف: يؤكد أن اتفاق لجنة الستة (القيادة التاريخية بالداخل) قبيل إعلان الثورة اتفقت على خطة من ثلاثة مراحل وهي (15):

مرحلة بناء الهيكل السياسي والعسكري لتحضير الثورة المسلحة وضمن توسيعها حيث يكون الهدف في هذه المرحلة سياسيا يتضمن شرح معنى الثورة وطبيعة أهدافها لكسب تعاطف الشعب وتأييده.

ثم مرحلة الإخلال بالأمن العام على أوسع نطاق وأخيرا مرحلة إقامة مناطق محررة لإيواء ثواة قادة الثورة تكون عبارة عن قيادة مصغرة. وعلى ذلك لم يعلم بمؤتمر الصومام إلا من خلال نتائجه كما يذكر أن الاتفاق قبيل الفاتح نوفمبر كان على مبدأ اللامركزية (16) وأن موضوع القيادة الذي جاء به المؤتمر سابقا لأوانه ويبدو مخالفا لإستراتيجية المراحل الثلاث السابقة الذكر.

ثانيا موقف حسين آيت أحمد: ينفي علمه بانعقاد المؤتمر لأنه كان متواجد بالولايات المتحدة الأمريكية حيث كان منشغلا بمسألة التسليح وفي نفس الوقت يؤكد بأن أحمد بن بلة ومحمد خيضر كانا على علم بالمؤتمر.

وبالنسبة لموقفه من القرارات التي أقرها المؤتمر فقد ساندتها لأنها كانت تعبر عن حاجة ملحة كان الجميع يشعر بها وفي هذا السياق قد طرح موضوع تشكيل حكومة مؤقتة لتجاوز هذه الخلافات (17).

ثالثا: موقف محمد خيضر: كان موقفه في بداية الأمر مساندا لعبان رمضان لكن كان حريصا على منح الوفد الخارجي مكانته اللولية لأنه فوض من قبل لجنة الستة عشية (18) إعلان الثورة وبعد حادثة اختطاف أعضاء الوفد الخارجي والتطورات التي عرفتتها انظم إلى الجماعة المناوئة لعبان رمضان وهذا ما يفسر المواقف غير الثابتة لبعض القادة.

رابعا موقف محمد علي محساس: يرى علي محساس الموضوع من زاوية مغايرة للأعضاء الآخرين وتتمثل في أن قيادة الثورة من داخل الجزائر أن تنجح، لأنه إما أن تقوم فعلا بتسيير شؤون الثورة وهنا تبقى معرضة للقبض مصالح الأمن الفرنسي على أعضائها وأحد تلو الآخر أو أن تختفي كلية وهنا لا يمكن أن نقود ثورة بهذا الشكل فتكهناتها لا تبقى داخل البلاد أكثر من ثلاثة أشهر (19).

ومن خلال هذه المواقف والشهادات نسجل أن حادثة اختطاف الطائرة التي كانت تقل الوفد الخارجي والتي سبق إن تطرقنا إليها قد ساهمت في تخفيف حدة الصراع بين عبان رمضان والمعارضين

لقرارات المؤتمر رغم المبررات التي قدمها كل طرف لإعطاء المصادقية لشكل القيادة الذي أصبح واقعاً مؤثراً على سير الثورة التحريرية واستمراريتها بل وجعلها من كثير من الأحيان في خطر لو لم يكن الشعب قد احتضنها آمن بها.

كما ساهمت مجموعة من العوامل في ترجيح كفة المعارضين والناقمين على بعض القرارات وخاصة ما يعرف بالأولويات (أولوية السياسي على العسكري) (والداخل على الخارج) مما سوف يؤدي إلى تحول كبير في أول دورة للمجلس الوطني للثورة المنعقدة بالقاهرة من 20 إلى 28 أوت 1957 نذكر منها (20):

- استشهاد العربي بن مهيدي في بداية مارس 1957 الذي كان سنداً قوياً لعبان رمضان في هندسة المؤتمر ونتائجه.

- خروج لجنة التنسيق والتنفيذ CCF وهذا ما يمثل إسقاطاً عملياً لمبدأ أولوية الداخل على الخارج

وانتصاراً للمعارضين حيث توسع عددهم بانضمام قادة آخرين مثل قادة الولاية الأولى (محمود الشريف وبن طوبال لخضر وعبد الحفيظ بو الصوف).

دور المجلس الوطني للثورة وانتصار الجناح المعارض لمؤتمر الصومام بالتراجع عن قراراته محل الخلاف: انعقد المجلس الوطني للثورة المنبثق عن مؤتمر الصومام دورته الأولى العادية بالقاهرة ما بين 20 و28 أوت 1957 وبحضور اثنين وعشرين عضواً من مجموع أربع وثلاثين (21)، وقد جرت الجلسة العلنية الختامية في الثامن والعشرين منه برئاسة فرحات عباس أكبر الأعضاء سناً بينما تول الأمانة العامة محمد الصديق بن يحيى. توجت أشغال الدورة بالمصادقة على مجموعة من القرارات التي تناولت النقاط التي طالما كانت سبباً في تغذية الصراع بين أعضاء الوفد الخارجي وأعضاء الداخل في معارضة المؤتمر وقراراته بداية من:

- مثل توسيع المجلس الوطني للثورة إلى 54 عضواً بدل 34 عضواً (22) واعتبار هيئة السيادة لقيادة الثورة وأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ إلى 9 أعضاء وتعيين آيت أحمد وأحمد بن بلة وبيطاط وخيضر وبوضياف كأعضاء شرقيين.

- ومنح لجنة التنسيق والتنفيذ صلاحيات واسعة باستثناء ما يتعلق بمستقبل البلاد مثل المفاوضات أو وقف الحرب أو الانحياز إلى كتلة أو أخرى كطرف ثالث في القضية الجزائرية ونستنتج أن القرارات المعدلة كانت تمثل ومن خلال هذا القرار نسجل أن لب الخلاف بين طرفي النزاع سرعان ما تراجع عنها عبان رمضان نتيجة إلى العوامل التي سبق ذكرها حول ترجيح كفة المعارضين إلى جانب ملاحظة أخرى وهي مصادقة مجلس الثورة على قرار رد الاعتبار للقادة السجناء لأنه كان لهم فضل تنظيم اندلاع الفاتح نوفمبر 1954 وأن غيابهم عن مؤتمر الصومام كان بغير إرادتهم. وكما

رنا أن أعضاء الوفد
م المعارضة لا يمكن

خية بالداخل) قبيل

وسيعها حيث يكون
بب تعاطف الشعب

ناطق محررة لإيواء

صومام إلا من خلال
ية (16) وأن موضوع

السابقة الذكر.

ند بالولايات المتحدة
مد بن بلة ومحمد

ت تعبر عن حاجة
مؤقتة لتجاوز هذه

رمضان لكن كان
ة عشية (18) إعلان

لى الجماعة المناوئة

بة مغايرة للأعضاء

فعلاً بتسيير شؤون

الآخر أو إن تختفي

د أكثر من ثلاثة

كانت تقل الوفد
رمضان والمعارضين

نشير أن هذا المبرر يتنافى مع ما ورد في الرسالتين اللتين بعتهما أحمد بن بلة لعبد رمضان وكذلك الاجتماع الذي نظمته محمد علي محساس مع المعارضين لقرارات المؤتمر وحتى مع لوائح المؤتمر التي قالوا أنها انحرفت عن بيان أول نوفمبر 1954.

الهوامش:

- ¹ - عبد الكريم شوقي: دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية 1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 73.
- ² - أزغدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية 56 - 62، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989 ص 89.
- ³ - محمد عباس، ثوار عظماء مطبعة دحلب، الجزائر، 1991، ص 86.
- ⁴ - محمد عباس، مصالي الحاج، الزعيم المفترى عليه، دار الحكمة، الجزائر 2000.
- ⁵ - كافي: علي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى الرجل العسكري 1946 - 1962 دار القصبة للنشر، الجزائر، 1998، ص 86.
- ⁶ - جومالي حسن، إستراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى 1954، 1956 منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
- ⁷ - رسالة ماجستير، مواقف بعض قيادي الثورة من مؤتمر الصومام ص 78.
- ⁸ - نفس المرجع ص 81.
- ⁹ - رسل الوفد الخارجي إلى الداخل مابين 1 نوفمبر 1954 ونهاية مارس 1956 45 قطعة إلى المنطقة الخامسة و 100 قطعة سلاح إلى الناحية الخامسة الأولى. عن مجلة المصادر العدد الأول.
- ¹⁰ - محمد حربي، أرشيف الثورة الجزائرية، جون فريد، باريس 1981.
- ¹¹ - ميلود، تيزي، رسالة ماجستير بعنوان: مواقف بعض قيادي الثورة من مؤتمر الصومام، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس ص 103.
- ¹² - محمد عباس، مثقفون في ركاب الثورة، دار هومة، الجزائر 2004.
- ¹³ - بورقة لخضر: شاهد على اغتيال الثورة، مذكرات الرائد لخضر بورقة.
- ¹⁴ - مجلة المصادر: المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية للثورة: العدد الأول، بقلم العياضي نصر الدين، الخطاب الصحفي الاستعماري، معهد الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر.
- ¹⁵ - الزبيري محمد العربي: الثورة في عامها الأول، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة 1984، ط 1 ص 117.
- ¹⁶ - HARBH Mohamed: La guerre commence en Algérie, ed complexe, Bruxelles, Belgique. 1984 p35.
- ¹⁷ - العسلي، بسام: الثورة الجزائرية دار الشورى، بيروت، 1981، ط 1، ص 76.
- ¹⁸ - Maadad, Messaoud: Guerre d'Algérie: Chronologie et commentaire, ed ENAG Algérie, 1992, p84.
- ¹⁹ - محمد عباس، ثوار عظماء، دار هومة، الجزائر 2002، ص:
- ²⁰ - عباس محمد: من كواليس التاريخ، دغول... والجزائر أحنك وقضائيا وشهلت دار هومة، الجزائر 2007 ص 339 - 340.
- ²¹ - الزبيري، محمد، العربي: الثورة الجزائرية في عامها الأول.
- ²² - أزغدي محمد لحسن، نفس المرجع ص 22.